وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآني
هدى للناس
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

الهداية في القصص القرآني وأثرها في الرقي الأخلاقي وبناء القيم الإنسانية

اسم الباحث/ـة

أ.د/ خميس غربي حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن القضية المحورية في هذه الدراسة هي محاولة كشف المعالم الأخلاقية والإنسانية في قصص القران الكريم في عصر ابتعد فيه أفراد المجتمعات على نحو عام ، والمسلمة خاصة عن التفكر والتبصر والحوار، بل أخذت موجة التغريب طريقها في الهجوم على العالم الإسلامي لإلغاء مظاهر الشخصية الإنسانية عند أبنائه وصياغتها من جديد لتتناسب مع مظاهر العولمة والعالم الجديد الذي يبشر به الغرب .

فضلاً عن هذه القضية تهدف الدراسة أيضاً إظهار هداية القرآن الكريم في ضوء القصص الواردة فيه؛ ولأن القصة هي إحدى الأساليب التي استعملها القرآن الكريم وفي مواضع كثيرة لأهداف ودوافع متعددة، وفي مجملها حكمة بالغة لها دور واضح في بناء القيم والرقي الأخلاقي ؛ ولأن الأسلوب القصصي مشوق ومؤثر ، وهو أسلوب لإصلاح الناس وتوضيح العبرة لهم وصولاً للهداية والإصلاح والرقي الأخلاقي .

ومن نافلة القول أن قصص القرآن الكريم موضوع حيوي ومهم، وقد كتب عدد من العلماء والمفكرين والفقهاء عنه، ولكن هذه الكتابات تبق بسيطة عما تحمله هذه القصص من عبرٍ ودعوةٍ وما فيها من هداية إلى محاسن الأخلاق وبناء القيم الإنسانية في ضوء القرآن وهديه وما تتميز فيه هذه القصص من حكمة وأسلوب يتميز بالاقتصار على بسط موضع العبرة ، إلا أن يكون موضوعاً يحتاج إلى بيان ، أو إشارة يعوز فيها القارئ إلى توضيح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾[1] .

والقصص في القرآن الكريم واضحة المعالم، محددة الأبعاد تصور لنا حوادث ووقائع فيها دعوة للتفكير والعبرة والذكرى والتبصرة وإرشاد الناس إلى الصواب وتجنب الخطأ ، مع تقديم خلاصة للتجارب البشرية

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ

[1] سورة الزمر ، آية : ٢٣ .

ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]،
﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[2] .

كما أن قصص القرآن لم تختص بالأنبياء فقط، وإنما اتجهت أيضاً إلى أقوام وجماعات مختلفة لها دور في العملية التاريخية، والهدف من وراء كل ذلك هداية الإنسان وتقويم أخلاقه وبناء القيم الإنسانية في سلوكه.

لقد آن الأوان لنا نحن المسلمون أن نتدبر القرآن الكريم ونأخذ منه العظة والعبرة، بل ونقتبس منه وننشره ، ونُظهر للناس من المسلمين وغير المسلمين ، أننا نمتلك كتاباً عظيماً يحوي بين ثناياه الكثير مما يصلح البلاد والعباد .

وكما هو ظاهر للعيان أن بلاد المسلمين تعاني من الكوارث والويلات، وهذا كله لقلّة حيلتنا ، وقصر بصيرتنا ، وعدم تمييزنا بين مصدر الحق ومصادر الأوهام،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[3]. وعليه فأمَا آن لنا أن نستفيق من غفوتنا؟ فندرك أن هذا القرآن فيه صلاحنا وسعادتنا، أما آن الأوان أن نستفيق من غفوتنا التي طالت؟.

ولتدبر قالخير،آن الكريم وفهمها يتطلب أن ينصت القارئ بقلبه لما يقرأ من كلمات وآيات ، والمقصود بالإنصات : هو تركيز الذهن لفهم العبرة من هذه القصص ، مع التوجه كلياً لفهم وتطبيق المقروء عن حب وإيمان بأن الله يريد له الخير ، ولا يريد له الشر ، يرشده إلى الطيبات وَيُكره له الخبائث ، وبذلك يجنب نفسه الأمارة بالسوء الوقوع في المعاصي لتتحقق الغاية من التدبر ، فيرتفع الإنسان بروحه ويلتزم الصراط المستقيم ويفعل ما يؤمره الله من القيم الأخلاقية ، كالصدق والوفاء وحفظ العهد والأمانة والاستقامة والتعاون والعدل والإحسان والتواضع والوقار والحلم والحياء ، وكل ذلك ضمن إطار

(١) سورة يوسف ، آية : ١١١.
(٢) سورة فاطر ، الآية : ٤٤.
(٣) سورة الإسراء ، آية : ٩

إنساني من التراحم والود ، محبة ورفقاً وعطفاً ومغفرة وصلة رحم[١] ، وبذلك تتحقق هدايات القرآن الكريم في ضوء القصص الورادة فيه .

وتظهر هداية القصص القرآني بما تضمنته من دعوات إلى القيم الإنسانية والأخلاقية ، ونبذ الكراهية والعنف وهذا كان ولم يزل وسيلة للتغير نحو الأحسن ، لذلك توجب علينا تناول الأشياء بمسمياتها الإنسانية والأخلاقية التي هي من صميم تعاليم الإسلام ، حتى نتمكن تدريجياً من تبديد غمامة الالتباس التي تغشى الرؤية الصحيحة لهذا الدين الحنيف .

وللإنسان في فهم قصص القرآن الكريم موقفان : إما التدبر وأخذ العظة ، فيفهم مايريده الله (سبحانه وتعالى) من الحقائق . أو أن يكون موقف الذي يقرأ ولا يتدبر من معانٍ تستند في سياقها على الحق والحقائق ، وهذا هو الحاصل ! للأسف الشديد عند بعض المسلمين . وعليه فمتى فهمنا قصص القرآن فهماً رحمانياً شملتنا رحمة الله ، أما إذا فهمناه عرضياً نكون قد حرمنا أنفسنا من رحمة الله .

ولأن الإسلام يربي الإنسان على السلام ونشر الأخلاق الفاضلة ، والتعريف بالقيم الإنسانية ، لذلك نجد قصص القرآن الكريم حافلة بالخير ، وعلى هذا المنوال أصبح استنباط القيم والأخلاق من قصص القرآن الكريم ضرورة عصرية ، لا سيما في الوقت الراهن الذي أصبح العالم في صراعات مستمرة تزهق فيها الأنفس البريئة ، وتؤدي إلى خسائر مادية وتخلف آثار اجتماعية على أفراد المجتمع الإنساني جميعاً ، ولو اهتدى الناس بالقرآن الكريم بما يحويه من نور وحق وعدل وإصلاح ، لكان الجميع في خير وسعادة ورقي في الأحوال .

تأتي هذه الدراسة لتكشف عن المعالم الإنسانية والأخلاقية في قصص القرآن الكريم، والدعوة إلى الالتزام والتبصر بها بسبب من ابتعاد أفراد المجتمعات على نحو عام ، والمسلمة خاصة عن التفكر والتبصر والحوار، وأخذت موجة التقريب طريقها في الهجوم على العالم الإسلامي لإلغاء مظاهر

---

[١] دين الرحمن ، نيازي مصطفى ، دار بيسان للنشر ، ط١، (بيروت/١٩٩٧م) ، ص٣٠٤.

الشخصية الإنسانية عند أبنائه وصياغتها من جديد لتتناسب مع مظاهر العولمة والعالم الجديد الذي يبشر به الغرب .

وبطبيعة الحال لن نغوص في قصص القرآن الكريم بمحتوياتها وتفاصيلها؛ لأن ذلك يتطلب مؤلفات ضخمة وعديدة، إذ إننا نادر ما نجد سورة من سور القرآن إلا وفيها قصة ، أو لمحة من قصة أو تضمين ، فالقرآن الكريم كتاب عبرة وهداية ، واشتمل على ما يهذب النفوس والطباع ويهديها إلى الخير والصلاح والنجاة ، وعليه سوف نتطرق إلى هداية القصص القرآني في مجال الأخلاق والقيم الإنسانية ، وباختصار، كي يتلائم مع سياق المؤتمر ومتطلباته

من هنا ، سنسعى إلى تقسيم هذه الدراسة على:

مقدمة ، وأربعة مباحث ، وخاتمة ،

تضمنت المقدمة: استهلال للموضوع وبيان أهميته والأسباب التي دفعتنا لاختياره،

واهتم المبحث الأول: بالإشارة إلى القصة في القرآن الكريم .

وتضمن المبحث الثاني: دراسة الجوانب الإنسانية في الإسلام أعماماً .

وخصصنا المبحث الثالث: لدراسة هداية القصص القرآني إلى القيم والمبادئ الإنسانية، وسنحاول من خلاله طرح التأكيد على ما تضمنته هذه القصص من جوانب إنسانية.

أما المبحث الرابع: والذي حمل عنوان الصورة الأخلاقية في القصص القرآني فقد تطرقنا فيه إلى ما حوته هذه القصص من هداية إلى مكارم الأخلاق وضرورة التمسك بها .

أما الخاتمة: فقد تضمنت أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها.

المبحث الأول: القصة في القرآن الكريم:

إن القصة هي إحدى الأساليب التي استعملها القرآن الكريم وفي مواضع عدة لأهداف ودوافع متعددة ؛ لأن الأسلوب القصصي مشوق ومؤثر وهو أسلوب لإصلاح الناس وتوضيح العبرة لهم ، وهي إحدى الأساليب المشوقة والمؤثرة لهداية الناس وتقويم أخلاقهم ، وتوضيح السبيل لهم .

والقصة في القرآن الكريم لها وظيفة تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء الأدبي ، ذلك أن القصة القرآنية تمتاز بمميزات جعلت لها آثار نفسية إيجابية كبيرة ، بعيدة المدى ، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه ، وتجديد عزيمته ، وتوسيع تفكيره بحسب مقتضى القصة ، والعبرة منها .

والله (*جل شأنه*) يضرب الأمثال مع القصص في القرآن الكريم : ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾[1] .

إنَّ سمو الغايات في قصص القرآن الكريم جعلها ذات أهداف ومقاصد في مجملها هداية الناس إلى الحق والصواب وتجنب همزات الشيطان ، وقد اشتملت على ما يوضح السبيل ، ويجمل الطباع ، وينشر الحكمة والآداب[2] ،

وفيها كذلك فصول في ما يهذب النفوس ، وينشر الفضيلة عند متلقيها ، وفيها كذلك ، توجيه نحو تربية النفس وبأساليب شتى ، تساق أحياناً مساق الحوار ، وطوراً مساق الحكمة والاعتبار ، وتارة مذهب التخويف والإنذار[3] ، وقد تعددت مضامين القصة في القرآن الكريم ففيها قصص الرسل مع أقوامهم وكذلك الشرح والتنبيه إلى حال الأقوام والملل الذين اهتدوا باقوال الرسل فمكنهم الله في الأرض ، وأخبار آخرين عصوا فساءت حالهم ووقع عليهم العذاب ، يضرب الله بهم المثل ويدعو الناس إلى أخذ العظة والعبرة[4].

ولأن القرآن الكريم متميز في أساليب عرضه للأفكار والرؤى لذا نجد أسلوب

---

(١) سورة الكهف ، آية : ٤٥ .
(٢) قصص القرآن ، محمد أحمد جاد المولى ، المكتبة الأموية ، دمشق ، د.ت ، ص٣.
(٣) قصص القرآن ، محمد أحمد جاد المولى ، ص٣ .
(٤) قصص القرآن ، محمد أحمد جاد المولى ، ص٣ .

سرد القصة في القرآن الكريم مختلفا ومتميزاً عن القصة الأدبية ومن جوانب عدة، إذ لها غايات وأهداف من أهمها تربية الإنسان وتقديم النصح والإرشاد من أجل زرع القيم الإنسانية والأخلاقية والتي جل غايتها تحقيق إنسانية الإنسان .

والقصة ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليها السمع ، وتصبح عبرة في الأنفس ، من هنا يمكن أن نعد القصص القرآنية وسيلة دعوية وأسلوب لترسيخ القيم والمبادئ من أجل تعريف المتلقي بما يغيب عنه، أو يلتبس عليه .

والحوار في القصص القرآني هدفه هداية الناس وإظهار الحق والاستعداد لتقبله عند ظهوره ،

والمسلم الصادق طالب حق ، لأن الحق يقود إلى الصلاح وسكينة النفس واطمئنانها ، والحوار المبني على سلوك الطريق المستقيم لا اعوجاج فيه ولا التواء يحول دون الانسياق وراء الهوى ، سواءً أكان هوى النفس أو هوى الجمهور ، وهذا ما نجده في قصص القرآن الكريم ، خالصاً لطلب الحق ،

إذ عادة ما تكون خالية من العنف والانفعال، بعيداً عما يفسد القلوب ويهيج النفوس[1] .

فضلاً عن ذلك فإن في قصص القرآن الكريم حقائق علمية واجتماعية تتعلق بالكون وما يحويه من إنسان وحيوان ونبات وسماء، لم تعرض إلا في عصرنا الحديث،

وفي معرفتها زيادة في العلم وهداية للناس ، وتقوية لمعاني الإيمان التي جاء فيها الإسلام .

وهذا الأسلوب هو دعوة من الله تعالى لبني البشر للتمسك بالقيم الإنسانية والأخلاقية، وفي مجالات الحياة كافة .

---

[1] أصول الحوار وآدابه في الإسلام ،صالح بن عبدالله بن حميد، دار المنار للنشر والتوزيع ، ط١ ، (جدة/١٩٩٤م) ، ص١٨-١٩ .

المبحث الثاني: إنسانية الإسلام والدعوة إلى مكارم الأخلاق:

من المعلوم أن الإسلام ينظر إلى الناس جميعاً على أنهم متساوون أحرار خلقوامن أجل إعمار الأرض وخلافة الله عليها ، وأنَّ خالقهم واحد ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾[1] .والناس في المجتمع المسلم محفوظة كرامتهم التي لا يجوز أن تلمز ، ولا يسخر منها أحدٌ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2] ،

وقد لخص الأستاذ عبد الكريم الخطيب، هذه الرؤية الإسلامية للإنسان بقوله : (وبهذا الصنيع أخرج الإسلام أروع إنسانية عرفتها الحياة ، في كل جانب من جوانبها ، وفي كل أفق من آفاقها ، وبهذا الصنيع أقام الإسلام في سنوات قليلة مجتمعاً مترامي الأطراف ، حراً كريماً ، يحكمه العدل ، وتسوده المحبة ، وينظمه الأمن والسلام) [3] .

لقد دلت الوقائع والدراسات الأدبية على ما للقصة من أثر عميق في التوجيه والتربية ، لأن خيال مستمع القصة أو قارئها يتابع الحوادث ويعايشها ، وينتقل معها من موقف إلى حوار ، إلى تصور ، إلى شعور فتستيقظ عواطفه ، وينفعل وجدانه كأنه جزء من القصة ، وعندما تنتهي القصة يبقى أثرها في النفس مستمراً .

---

[1] سورة البقرة ، آية : ٢١٣ .
[2] سورة الحجرات ، آية : ١١ .
[3] الله والإنسان ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، ط٢، (القاهرة / ١٩٧١م ، ص١٣ .

والدارس للقصص الواردة في القرآن الكريم يدرك الدور الفاعل الذي وظفته في تربية العقيدة وتثبيتها ، إذ ليس الغاية من التربية العواطف الصالحة فقط ، ولا تصبح العواطف أساسا للخلق الكريم إلا إذا تحولت إلى اتجاهات يكون ينبوعها الدائم هو العقيدة ، وهكذا تتعمق العقيدة والأخلاق والقيم الإنسانية ، في الوقت الذي تتطهر فيه النفوس من المعتقدات والأخلاق والقيم الجاهلية الفاسدة ، وهذا ما نجده في القصص القرآني .

والإنسان ، أي إنسان ، في الفكر الإسلامي ، له منزلة تجعله أفضل وأكرم المخلوقات جميعاً ، لما خصَّه الله تعالى من فضل وتكريم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]،

هذا التكريم من الله الذي اختص به الإنسان دون تحديد دينه أو مذهبه، يدعونا نحن المسلمين إلى مد جسور التواصل والتآلف والتعاون مع الآخر الذي سينتج عنه التعايش السلمي بين أبناء البشرية جمعاء .

من هذا المنطلق يمكن التأكيد على أن حوارات القرآن الكريم في مجمل قصصه كانت تؤكد على القيم الإنسانية وتتجلى بأروع صورها ، وهكذا نرى الإسلام ينظر إلى الجميع من منطلق إنساني ، لذلك قرر مبدأ الوحدة الإنسانية قانوناً ثابتاً لا يتبدل[2] ،

وحسب التعبير القرآني ، أن الناس أمة واحدة تعيش في أسرة إنسانية واحدة ، وأن عرى هذه الوحدة تقوى وتضعف طبقاً لمدى إدراك هذه الأسرة لمقوماتها ، أما التنوع والتفاوت بين الناس فيحصل في الاستعدادات والمواهب ، وما يتعلق بهما تماشياً مع الاختلاف في القدرات لدى كل شخص[3] .

بهذا المنهج القويم تبنى شخصية الإنسان، وتبدأ برسم طريقها السوي القويم من توحيد الله إلى خشيته والتقرب إليه من خلال التودد لخلقه من البشر جميعاً

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٧٠ .

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة ، محمد شلتوت ، دار الشروق ، ط٦، (القاهرة/١٩٧٣م) ، ص٤٧٢

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة ، محمد شلتوت ، ص٤٧٢ .

، ومن ثم تبدأ الواجبات المناطة بهذا الإنسان ، من محبة الناس والتفاعل معهم، وإعداد النفس وصونها لمواجهة كل ما يبعد الإنسان عن أخيه الإنسان.

وكما هو معلوم أن الدين الإسلامي ليس مجرد طقوس وعبادات فقط، ولكنه دين تعامل بالحسنى ومبادئ إنسانية وأخلاقية عظيمة وفكر وحضارة ، ودعوة إلى تحقيق إنسانية الإنسان ، وتاريخه يشهد على ذلك ، لقد كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يحفر ويعمق ويثبت الجذور من أجل تحقيق إنسانية الإنسان والتي لا تأتي إلا بسيادة قيم الأخلاق والروح الإنسانية .

ومن هنا وجب على الدارسين والفقهاء والباحثين ، أن يعقدوا الصلة بين روح الإسلام التي تؤكد أهمية البناء النفسي للإنسان المسلم ، وبين القيم الواردة في قصص القرآن الكريم وذلك تحقيقاً لإنسانية التعاليم الإسلامية ، والنتيجة تكون بناء شخصية الفرد المسلم ذات الملامح الإنسانية والقيم الأخلاقية البعيدة عن الغلو والتطرف ، اللذين يفضيان إلى وصف الإسلام بالعدوانية وبالإرهاب ،

والإسلام بروحه الحقيقة وتعاليمه السمحاء بعيدٌ كل البعد عن هذه الأوصاف ، ونحن إذ أظهرنا القيم الإنسانية في قصص القرآن الكريم سوف نرد على المقولات التي يطلقها أعداء هذا الدين وغايتهم منها زرع الكراهية تجاه الإسلام في نفوس عدد من المسلمين وغير المسلمين .

نزل القرآن الكريم كتاب هداية ورحمة وإرشاد للناس أجمعين ،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾[1] ،

ذلك هو الإسلام في حساسيته المرهفة تجاه الإنسان وما في هذا الدين من رحمة وإنسانيته تجاه البشرية قاطبة ، والإسلام يجري في هذه الدعوة كعادته في تحقيق الطمأنينة والسلام والمحبة بين أفراد الأسرة الإنسانية ، وهذا بطبيعة الحال

[1] سورة المائدة ، آية : ١٥ .

، يفصح عن تصور إنساني وأخلاقي لمفهوم الحياة لجميع البشرية . لذلك كانت الدعوة القرآنية للناس جميعاً أن يتعاونوا على فعل الخير ويبتعدوا عن التناحر والخصومة والعدوان ، وقد أسس القرآن الكريم الأسس والقواعد الحاكمة في هذا الموضوع ،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1] .

والإسلام بما تنطوي عليه تعاليمه من نزعة إنسانية مقرونة بالسماحة وحب الخير للناس جميعاً ، والإنسان فيه مكرم منذ نشأته ورفيع بأن نفخ الله فيه من روحه ، وهذه النفحة الإلهية في الإنسان جعلت روحه تهتدي دائماً إلى منشئها.

[1] سورة المائدة ، آية : ٢ .

المبحث الثالث: الصورة الإنسانية في القصص القرآني.

وردت في القرآن الكريم العديد من القصص والتي كان لها أهداف وغايات : منها أشاعة القيم الإنسانية بين أفراد المجتمع ذلك أن القيم الإنسانية في الإسلام صالحة لكل زمان ومكان ، لأنها ليست من صنع الإنسان ولذلك فهي باقية ما بقي الزمان ، على اختلاف البيئات والعصور ، وتظهر الجوانب الإنسانية في القرآن الكريم واضحة لا لبس فيها ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1] .

ولذلك يحق لنا القول : إن أبرز سمات القواعد الإنسانية في الإسلام هو ثباتها ، وبالتالي فإن الالتزام بها هو قانون رباني يمثل المحور الذي تدور حوله جميع الأهداف والعبر في قصص القرآن الكريم ، وإذ زالت فكرة الالتزام بهذه القيم قضي على الجوهر الإنساني لتعاليم الإسلام ،

وإذا انعدم الالتزام انعدمت المسؤولية وضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه ، ولهذا فإن الإسلام دين الإنسانية يحمل قواعد نظرية وعملية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه ، وهذه هي غاية رسالة الإسلام التي هي رحمة للعالمين .

والصورة الإنسانية في قصص القرآن الكريم تتضمن العبادات التي فرضها الله تعالى على الناس ، فنلحظ دعوة الناس بالرفق واللين والرحمة ، فالتطرف مرفوض لأن المبالغة قد تؤدي إلى الضعف والوهن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2]. وكان حوار الله مع موسى (عليه السلام) يفصح عن الجوانب الإنسانية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[3] .

تظهر الجوانب الإنسانية في العديد من قصص القرآن الكريم ، وهذه الجوانب **تبدأ بالدعوة إلى السلام ، والحوار الهادئ البناء** ، وهي دعوة صادرة

---

(١) سورة الاسراء ، آية : ٧٠ .
(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦ .
(٣) سورة طه ، آية : ١٣-١٤ .

من الله ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[1] ، والصورة الإنسانية في قصص القرآن الكريم واضحة من خلال دعوة الله (جل جلاله) إلى اتباع أسلوب الرفق واللين والجدال بالتي هي أحسن ،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[2] ،

وقوله جل شأنه

:﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[3] ،

والحكمة المراد بها هنا معرفة الحق والعمل به؛ لأن القلوب التي لها فهم وقصد تُدْعَى بالحكمة، فَيُبَين لها الحق علماً وعملاً فتقبله وتعمل به ، وآخرون لهم أهواء تصدعهم عن اتباعه ، فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق ، والترهيب من الباطل[4]

ولو تأملنا تاريخ الإنسانية وجدناه حافلا بالأحداث التي تبين أن الإنسان ومنذ وجوده على الأرض بدأ يفكر بطريقة مشتركة، أي أن الإنسان وبطبيعة تركيبته النفسية كائن اجتماعي ، وهذا ما نجده في قصص القرآن الكريم إذ إن في معظمها بيان لحالة الإنسان الباحث عن المصلحة المشتركة من قاعدة تؤكد على أهمية التعارف والتعايش السلمي ،

مما أدى إلى نتائج إيجابية لهذا التعارف، ألا وهو تطور الفكر البشري وازدهار الحضارة وقيام الدول، والسعي نحو التقدم ، كل ذلك يندرج تحت مفهوم

---

(١) سورة يونس ، آية : ٢٥ .
(٢) سورة النحل ، آية : ١٢٥
(٣) سورة العنكبوت ، آية : ٤٦.
(٤) مجموعة فتاوي أبن تيمية ، ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، (الرياض/١٩٩٥م) ، ج١٩ ، ص١٦٤ .

إنسانية الإنسان التي لا يمكن طمسها أو تجاهلها ، وقصص القرآن الكريم فيها دروس وعبر في هذا المعنى .

والدارس للقصص القرآني يدرك الدور الفاعل الذي وظفته في إشاعة الروح الإنسانية بين أفراد المجتمع ، إذ ليس الغاية من القصص كما يظن استمالة العواطف لكي تصبح أساسا للتعامل الإنساني ، وهكذا تتعمق العقيدة والقيم الإنسانية ، في الوقت الذي تتطهر فيه النفوس من المعتقدات والأخلاق والقيم الجاهلية الفاسدة ، وذلك من خلال القصص القرآني .

والروح الإنسانية في قصص القرآن تظهر في ضوء ما نقل إلينا من آثار السابقين من الأنبياء والرسل ، فضلاً أن هناك قصص في القرآن الكريم تشير إلى الديانات السابقة ، فمثلاً تحدث القرآن الكريم عن قصة نبي الله آدم **(عليه السلام)** ، وقصة نبي الله إبراهيم **(عليه السلام)** وقصة يعقوب ويونس ويوسف وموسى والسيد المسيح **(عليهم السلام أجمعين)** وفي ذلك عبرة وتوكيد للجانب الإنساني في هذه القصص ، ولأن الدين الإسلامي يحث أتباعه على التعامل بروحٍ من المحبة والمودة والإنسانية مع غير المسلمين ، وتاريخ المسلمين يشهد على التعامل بالحسنى مع غيرهم ، فقد نعموا في ظل الإسلام بالرضا والأمن والسلامة ، وسار السلف الصالح على هذا الطريق[1] .

ولا يغيب على المتتبع لقصص القرآن الكريم بعدها الإنساني من خلال الإشارة للديانات السابقة، على الرغم من أن الإسلام خاتم الرسالات السماوية والذي به تم احتواء جميع ما أنزل الله من ديانات سابقة ، مع هذا الطرح فإن نصوص القرآن الكريم تؤكد على ضرورة الاعتراف بالأنبياء والرسل السابقين ، وما جاؤوا به من شرائع

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2] .

لقد جاءت الديانات السماوية جميعاً بدعوة توحيد الله سبحانه وتعالى ابتداءً من آدم **(عليه السلام)** ، وانتهاءً بالرسول محمد **(صلى الله عليه وسلم)** ، إذ

---

(1) مقارنة الأديان ،احمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣، (القاهرة / ١٩٦٧م) ، ص١٦٢ .

(2) سورة البقرة ، آية ٣-٤ .

كانت دعوتهم جميعاً واحدة هي توحيد الله وعبادته وحده ، يظهر ذلك في القرآن الكريم من خلال عدد من الآيات ، قال جل شأنه :

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾[1] ، وقوله

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[2] ، وقوله :

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[3] ، وقوله :

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4] ، وهناك العديد من الآيات التي تبين عقيدة التوحيد الخالص ، ووحدة الدين التي جاء بها الرسل جميعاً .

والدعوة في القرآن الكريم إلى الإيمان بالرسل والكتب التي أُنزلت عليهم من صميم الروح الإسلامي،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[5] .

ومما تقدم نستنتج أن الله سبحانه وتعالى لم ينزل إلى البشرية عن طريق رسله أدياناً عدة إنما نزَّل ديناً واحداً هو الإسلام، إنها وحدة الدين السماوي لا تعدد الأديان[6] ، والقرآن الكريم يدعو جميع الديانات باسم الإسلام ،

---

(١) سورة هود ، آية : ٥٠ .
(٢) سورة هود ، آية : ٦١ .
(٣) سورة هود ، آية : ٨٤ .
(٤) سورة العنكبوت ، آية : ١٦ .
(٥) سورة النساء ، آية : ١٣٦ .
(٦) التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم ،سورحمن هدايات ، ص٥١ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1] .

ومع أن سائر الديانات السابقة نسخت بالإسلام ، أو أن أخرى ليست على حق ، لكن في قصصهم نجد القرآن الكريم يقف منها موقف التسامح ، ولكن هذا لا يعني أن يعترف الإسلام بأن كل ديانة على حق وعلى قدم المساواة معه ، لأن مثل هذا الاعتراف يتعارض مع إعلانه أن الدين عند الله الإسلام[2] ،

والتوجيهات في القرآن تسمح للمسلمين بالالتقاء مع أتباع الديانات الأخرى في كثير من الأمور الدنيوية فيما لا يتصل بالأمور العقدية والتعبدية ، فيلتقي أتباع الإسلام مع أتباع اليهودية والمسيحية حتى في العلاقات الزوجية ،و يتم الالتقاء في مأدبة الطعام ومجالات التعاون والبناء[3].

لا ريب في أن مقاصد القصص القرآني في مجملها تحقيق غاية إنسانية ولا سيما في الطريقة التي تعامل بها الإسلام من الرسالات السماوية السابقة ، ففي قصص القرآن لا نجد موقف تحدٍّ أو جحود ، بل نجد الروح الإنسانية هي التي تسيطر على منطق القول ،

والسبب في ذلك أن الإسلام جاء استكمالاً لرسائل وشرائع الرسل السابقين ، وأن علاقات الود والمحبة والتسامح مسألة يستلزمها جوهر الرسالة الإسلامية ، وهداية القرآن الكريم ، وأن هذه القيم الإنسانية والدعوة إلى التسامح لا تقبل شقاقاً وتبتعد عن كل ما يشير إلى الحقد والكراهية.

وتأسيساً على هذه المقولات والمبادئ وقيم المساواة والعدل والسلام والتعايش السلمي ، قامت دولة المدينة بقيادة الرسول محمد *(صلى الله عليه وسلم)*، فلكل دينه ، من دون محاولة إقصاء أو فرض دين بالقوة .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٦٤ .
(٢) التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم ، سورحمن هدايات ، ص٦٥ .
(٣) التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم ، سورحمن هدايات ، ص٦٥ .

المبحث الرابع: الصورة الأخلاقية في القصص القرآني:

إن منهج الإسلام في التعامل والحوار أساسه الدعوة بالحسنى ، وهذا المنهج قائم على الأخلاق الفاضلة المتمثلة بالرفق والرحمة ، ومنهجه بعيداً عن الغلظة والفظاظة ، والقرآن الكريم يدعوا إلى التسامح والعفو لأن الأخلاق في القصص القرآني مبنية على ذلك ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1] .

ولأن القصص القرآني غني بالمواعظ والحكم والأصول والتوجيهات الأخلاقية، والأساليب التربوية ، والاعتبار بالأمم والشعوب السابقة ، وهي ليست أمورًا تاريخية لا تفيد إلا المؤرخين ، وإنما هي أعلى وأشرف وأفضل من ذلك ؛ فالقصص القرآني مملوء بالتوحيد ، والعلم ، ومكارم الأخلاق ، والحجج العقلية ، والتبصرة والتذكرة ، والحوار النافع .

مما لا شك فيه أن ربط الدين بالأخلاق أمر غاية في الأهمية، ذلك أن خَلق الإنسان لم يكن عبثاً بل كان لغاية أراد الله بها خلافة الأرض ، لذلك فقد خلقه في أحسن تقويم وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنه .

واستكمالاً لما سبق نتساءل لماذا خلق الإنسان؟ وما هي رسالته في الحياة ؟ وردت في القرآن الكريم آيات عدة تصرح بالغاية التي من اجلها خلق الإنسان وفي مقدمتها قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[2] ،

وقوله جل جلاله :

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[3] ، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[4] .

---

(1) سورة المائدة ، من الآية ١٣ .
(2) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .
(3) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .
(4) سورة الأنعام ، آية : ١٦٥ .

وقوله : ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1] .

وتظهر الصورة الأخلاقية في قصص القرآن الكريم في ضوء الدعوة إلى الوسطية والاعتدال ، من دون غلو أو تطرف ، وهذا المبدأ من طبيعة رسالة الإسلام ، إذ أنها رسالة فيها رحمة للعالمين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2] ،

والوسطية في الإسلام تعني العدل والمساواة، وهي سمة هذا الدين وشعاره وخاصيته ، ولأن الوسطية هي الميزان المستقيم الذي يحدد العلاقات بين الناس في حالة السلم والحرب ، لأنها القانون الذي ينتظم به المجتمع الإنساني[3] ، ولذلك فإن الجوانب الأخلاقية في قصص القرآن الكريم تحدد هذا المنهج .

أما الجوانب الأخلاقية في قصص القرآن الكريم ، فهي الأخرى فيها دعوة لأفراد المجتمع من أجل التمسك بكل ما يدعو إلى الآداب والأخلاق الفاضلة ، ومن نماذج الدعوة لمثل هذا الحوار قصة أصحاب القرية في سورة (يس) ، عندما أرسل إليهم النبي عيسى (عليه السلام) أثنين فكذبوهما فبعث بثالث ، وخطاب هؤلاء كان يتميز بالجانب الأخلاقي المبني على الرفق والمودة والطمأنينة ،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[4]، ولما جادلوهم كان طابع الجدال إنسانياً أخلاقياً ، من دون أن يميل إلى النزاع

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[5] .

لقد جاء القرآن بقصص تربوية ذات أثر في علاقات الإنسان الخلقية والوجدانية مع جمال الأسلوب وبلاغة المعنى؛ ولأن القصة القرآنية وسيلة هامة للتعلم والإرشاد والتشريع ، ولها دور فاعل في بناء الفرد والمجتمع ، وتعد من أهم الأساليب المؤثرة في تقويم الأخلاق وتغذية العواطف وغرس القيم السامية

---

(١) سورة الملك ، آية : ٢ .
(٢) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .
(٣) العلاقات الدولية في الإسلام ،محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي (القاهرة/د.ت) ص٣٥
(٤) سورة يس ، آية : ١٤ .
(٥) سورة يس ، آية : ١٦-١٧ .

والتخلص من القيم المنحرفة والعمل على بترها من المجتمع . وفي قصة سيدنا نوح (عليه السلام) نجده يرغب قومه بالقول الحسن، ولم يقابلهم بالجفوة كما أساؤوا إليه ويذكرهم بما وعدهم الله من مغفرة لذنوبهم، وفي هذا فرصة طيبة لهم ليزدادوا من فعل الخير

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1] .

ولما كان الجانب الأخلاقي من بين أهم الأهداف للقصة القرآنية فإننا نجد الدعوة صريحة إلى مكارم الأخلاق والنهي عن مساوئها ، وهي كذلك تؤدي وظيفة اجتماعية غايتها بناء سلم للأخلاق الفاضلة ، فالقصة القرآنية تحكي حال الرسل والأنبياء السابقين وحال الذين اتَبعوهم وكيف نصرهم الله لصبرهم وتمسكهم بعقيدتهم[2] .

والقصص في القرآن الكريم لها هدف وغاية سامية ألا وهي:

تثبيت الأخلاق والترغيب فيها ، وذلك بغرس القيم وإرساء دعائم الإسلام وتعاليمه في حسن المعاملة ،كما أن القصص القرآني يعطي صورة عن الأدب الذي يتأدب به الرسل مع ربهم ،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾[3] .

لقد عرض القرآن الكريم في قصصه لموضوع الأخلاق الحسنة ودعا إليها ودعا إلى التخلي عن الأخلاق السيئة والتحلي بالحسن منها ،

بأسلوب غير مباشر ، حيث أكثر القرآن الكريم من هذا الأسلوب في ثنايا قصصه ،

فنجد القرآن الكريم بعد أن يذكر قصة من قصص السابقين يعلق عليها بطريقة تدعو القارئ إلى الاعتبار والاتعاظ والتركيز على سمو الأخلاق بأسلوب حسن

---

(١) سورة نوح ، الآيات ٣-٤.

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم ، محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية ،ط٤، (القاهرة/١٩٧٢م) ، ص٢١٢ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ١٤٤ .

رائع، يهذب فيه النفس البشرية[١] ، فمثلاً بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى قصة لوط (عليه السلام) وما حل بقومه من العذاب ، نجد قوله تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٢] ، فالمسلم المؤمن بالله هو الذي يعتبر بما حلّ بقوم لوط ، وهو درس في الأخلاق ، فلا يفعل فعلهم ، ولا يكذّب رسولاً ، أو يرتكب حراماً ، ويسير في فلك الإيمان والصدق والعمل الصالح[٣] .

وفقاً لما سبق يتبين: أن خلق الإنسان كان لمهمة كبيرة وحساسة ، ألا وهي خلافة الأرض وتعميرها ، وهذه الخلافة بطبيعة الحال ، تتطلب سلوكاً وتعاملاً مبنياً على الصدق والاخلاص ، ولأن القرآن الكريم جاء ليبني شخصية الإنسان ويمكنه من تعمير الأرض لذلك أوجب الله عليه أن يهذب أخلاقه وينقي سريرته ،

من هنا كانت الصورة الأخلاقية في قصص القرآن الكريم هي أساليب ودروس يأخذ منها الإنسان العبرة كي يتعلم ما يساعده على سلوك درب الخير والفضيلة واحترام الآخر ، وهذا الآخر لا يقتصر على الإنسان ، بل يمتد ليشمل الحيوان والطبيعة والبيئة التي يعيش عليها ، هذا هو الأساس الذي بني عليه المنهج القصصي في القرآن الكريم ، ونحن نعتقد أن من أهم ما يجب ملاحظته في قصص القرآن الكريم تأكيدها على تربية الفرد على حسن التعامل ، لأن في القصص عبرة وعظة أراد الله من خلالها أن يضرب الأمثال للإنسان كي يتعلم ، وبما أن القصة والمثل هي وسيلة تعلميه تربوية ناجحة وأن العقل الإنساني يتقبل ذلك أكثر من الكلام المرسل ،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤] .

---

[١] منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق ، عبد الرحمن داود جميل ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى كلية أصول الدين ، جامعة النجاح ، (نابلس/٢٠١٠م) ، ص١

[٢] سورة الحجرات ، آية : ٧٣-٧٥ .

[٣] منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق ، عبد الرحمن داود جميل ، ص٢٢ .

[٤] سورة يوسف ، آية : ١١١ .

إن وجود القصة في القرآن الكريم لها دلالات وأهداف أخلاقية ، فهي ليست مجرد سرد لما وقع للأقوام السابقة من أحداث ، وإنما تبعث الحياة في هذه الأحداث فيتكشف ما وراءها من عبر وعظات ، وتظهر قوى الخير في صراعها ضد قوى الشر ، ولا يعني ارتكاز القصة حول هذه الموضوعات انعدام الجانب الفني فيها[١] ، (بل أن القصة القرآنية تعتبر قمة في الجمال الفني الذي لا يبعدها عن هدفها الأخلاقي ، والقصة القرآنية برغم قلة الألفاظ المستخدمة في أدائها ، فإنها حافلة بكل أنواع التعبير والعناصر الفنية من حوار إلى سرد ، إلى تناغم إيقاعي إلى دقة في رسم الملامح)[٢] .

وفي هذا الإطار يجب النظر إلى ما يقدمه القرآن الكريم من أطروحات في القصص الواردة حول الحوار وما يحويه من قيم متعددة ، على أن نقطة البدء التي ينطلق منها القرآن الكريم تنصب بوجه خاص على الشق الأخلاقي وهذا ماثل في عدد من قصص القرآن الكريم ، ولو كان الأمر يتعلق بضرب الأمثال بشخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) مع تأكيدنا أن الرسول كان مضرب الأمثال في التواضع والبساطة والخلق القويم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣] ، ومع كل هذه الصفات الحميدة في شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فإن القرآن الكريم يتعرض إلى مسألة الحوار ، وكيف يجب أن يكون عندما يعاتب الرسول محمد *(صلى الله عليه وسلم)* عندما تجاهل الرجل الأعمى الذي حضر مجلسه ليتعلم أركان الدين ،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾[٤] .

---

(١) قصص القرآن الكريم جار الله سليمان الخطيب ، د .مط ، (الرياض/١٣٩٣هـ) ، ص٧-٨

(٢) دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ،أحمد جمال العمري ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، (القاهرة/١٩٨٦م) ، ص٢٩١

(٣) سورة ، آية :٤

(٤) سورة عبس ، الآية ١- ١٤ .

إن هذا التوجيه للرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) يعد أمراً عظيماً جداً ، وغاية في الأهمية لما ينطوي عليه من قيم أخلاقية ، وهو يؤكد أن الميزان الذي يجب أن يقوم على أساسه الفرد في المجتمع الإسلامي ، هو:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [1] .

هنا تتجلى المبادئ الإنسانية والأخلاقية بأوضح صورة ــ رحمة ــ وللجميع دون النظر إلى اللون، أو الجنس، أو القومية، أو الملكية المالية وجميع الصفات الاعتبارية الأخرى.

لقد انطلق أصحاب الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) يحملون لواء الدعوة متسلحين بفكر القرآن الأخلاقي ومجاهدين به، داعين إلى الإسلام ومكارم الأخلاق والتي فيها قواعد العدل والإحسان، مستهدفين بذلك أن يفتح الله على أيديهم قلوباً غلقاً وأعيناً عمياً وآذاناً صما[2] ،

وبهذه الأخلاق الكريمة والنفسية الطاهرة العفيفة انتشرت الدعوة حتى اتسعت رقعة الإسلام وتكونت دولة أساسها الأخلاق الفاضلة.

---

[1] سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

[2] الدين العالمي ، عطية صقر ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ط٣ ، (القاهرة/٢٠١٣م) ، ص٦٥ .

الخاتمة والاستنتاجات

لقد انتهينا من هذا البحث إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات التي تؤكد أهمية القصص القرآني لتربية الفرد وبناء المجتمع على أسس من القيم الإنسانية والأخلاقية وهي الآتي:

أولاً: أن العبرة والعظة اللذين نجدهما في القصص القرآني كفيلتان في بناء المجتمع المثالي ، وهذا يتطلب ترسيخ القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية وفق الهدي القرآني وكذلك الابتعاد عن الظلم والبغي والعدوان ، والهداية في قصص القرآن لها أهداف من جملتها بناء الإنسان الذي هذبته أخلاق الإسلام وجمّلته قيمه الإنسانية ، ووضحت طريقه المفاهيم والعبر والمعاني التي وردت في هذه القصص ؛ لأن القصص القرآني واضح كل الوضوح في هذا المضمار ، وجل ما ورد من قصص كانت لأجل التفكر والعبرة ورسم صورة واضحة أمام الإنسان يأخذ منها ما يوضح له السبيل وحسن التعامل مع أبناء جنسه .

ثانياً: انعقد مجمل القصص القرآني على تأكيد الجوانب الأخلاقية والإنسانية، وقد تميزت معالجاته لهذين المقصدين بالشمولية والإيضاح والتوكيد، وذلك لما لهما من أثر نافع في حياة الفرد والمجتمع ، لأنه متى ما أدرك أبناء المجتمع أهمية الالتزام بالقيم الإنسانية التي دعا الله إليها فإن المجتمع سائر إلى الخير والفلاح والسعادة ، أما القيم الأخلاقية فهي الأخرى تشكل معلماً بارزا من سمات المجتمع الفاضل ، والتمسك بالأخلاق الحسنة سيرفع من شأن الفرد والجماعة ، ومن ثم صلاح المجتمع وتطوره.

ثالثاً: في قصص القرآن الكريم ملامح كثيرة فيها الدعوة ظاهرة لبناء مجتمع متكامل ، ينشد أفراده الخير والسعادة والتطور ؛ ولأن القصة ضرب من ضروب الأدب يصغي إليها السمع ، وتصبح عبرة في الأنفس ، من هنا يمكن أن نعد معظم القصص الواردة في القرآن وسيلة دعوية وأسلوباً لترسيخ المبادئ

الإنسانية والقيم الأخلاقية من أجل تذكير الإنسان بما يغيب عنه ، أو يلتبس عليه ، والقرآن الكريم في قصصه يحث على فعل الخير ونبذ الشر، وفي ضوء قصصه يلزم أفراده بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأن الخير إذا وجد من يأمر به ويحث على فعله ساد وعمَّ ، وأدى واجبه كاملاً في سبيل السلام ، والشر إذا وجد من يقاومه وينكر على مرتكبه ، ويدعوه على تركه والتخلص منه ، سكن وهدأ وَسَلِمَ المجتمع من كوارثه وفواجعه .

رابعاً: في القصة القرآنية من التشويق والأساليب المؤثرة ما يجعلها طريقة لهداية الناس، وإصلاحهم ، وزرع القيم الإنسانية والأخلاقية في نفوسهم ؛ ولأن للقصة عموماً ، وفي القرآن الكريم على وجه الخصوص لها وظيفة تربوية وأخلاقية لا يحققها لون آخر من ألوان وأساليب السرد الأدبي ، ولها سمات قد تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه ، وتجديد أفكاره ، وبناء روحه .

خامساً: القصة في القرآن الكريم لها دلالات وأهداف، فهي ليست مجرد سرد لما وقع للأقوام السابقة من أحداث ، وإنما تبعث الحياة في هذه الأحداث فيتكشف ما وراءها من عبر وعظات ، وتظهر قوى الخير في صراعها ضد قوى الشر

سادساً: نفهم من قصص القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يتعلم الناس ويأخذوا الدرس والعبرة، ويتأدبوا، ولأن القصة ، عموماً ، وسيلة إصلاح أخلاقي تثقيفي في آن معاً ، لذلك كانت قصص القرآن الكريم ذات أهمية اجتماعية سياسية تاريخية ، وهي كذلك تمتاز بالسلاسة والبساطة والحبكة الفنية والجمال اللغوي .

سابعاً: وجدت قصص القرآن الكريم لتأصيل قيم وتثبيت مبادئ وأخلاق ولها غايات وأهداف، ولم تكن لمجرد الذكرى أو العبرة أو التسلية، لذلك وجب على الدارسين والمفسرين للقرآن الكريم أن يجعلوا هذه الأسباب في حسابهم وأن يكون جزء من الدرس والتفسير منطلقه وهدفه تثبيت هذه الأصول .

ثامناً: إن دراسة القصص القرآني ليس للعظة والعبرة فقط ، بل يجب أن نقتبس ، وننشر منها نحن المسلمون ، ونظهر للناس من غير المسلمين ، إننا نمتلك كتاب دستور يحوي بين ثناياه الكثير، الكثير مما يصلح البلاد والعباد ، وقد حان الوقت لبيان ذلك ، لأن بلاد المسلمين تعاني من الكوارث والويلات ، والقرآن الكريم فيه الحلول والترتيبات المناسبة لهذه المشكلات ، وهو طوق النجاة للناس أجمعين. .

ثبت المصادر والمراجع

– القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

١. السيرة النبوية ، ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، مكتبة الدعوة ،(القاهرة/ د.ت) .

٢. صحيح البخاري ، البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله ، (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، تحقيق : مصطفى ديب البنا ، دار ابن كثير ، ط٣ ، (بيروت/١٩٨٧م) .

٣. مجموعة فتاوي ابن تيمية، ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م) ، تحقيق:عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، (الرياض/١٩٩٥م)

ثانياً: المراجع .

١. أصالة الحضارة العربية ، ناجي معروف ، دار الثقافة ، ط٣، (بيروت/١٩٧٥م) .

٢. أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، صالح بن عبدالله بن حميد ، دار المنار للنشر والتوزيع ، ط١ ، (جدة/١٩٩٤م) .

٣. الله والإنسان ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، ط٢، (القاهرة/١٩٧١م).

٤. الإسلام عقيدة وشريعة ، محمد شلتوت ، دار الشروق ، ط٦،(القاهرة/١٩٧٣م).

٥. التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم ، سورحمن هدايات ، دار السلام للطباعة،ط١،(القاهرة/٢٠٠١م).

٦. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ، أحمد جمال العمري ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، (القاهرة/١٩٨٦م).

٧. دروس في الانفتاح على الرأي الآخر ، محمد شريف أحمد ، منشورات منتدى الفكر الإسلامي ، ط١، (اربيل/٢٠١٣م) .

٨. الدين العالمي ، عطية صقر ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٣، (القاهرة/٢٠١٣م). ١٠- دين الرحمن ، نيازي مصطفى ، دار بيسان للنشر ، ط١، (بيروت/١٩٩٧م) .

٩. الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم ، سعيد عبد خضر يوسف الجوعاني ، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة ، ط١، (بغداد/٢٠٠٩م) .
١٠. العلاقات الدولية في الإسلام ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، (القاهرة/د.ت) .
١١. الفن القصصي في القرآن الكريم ، محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية ،ط٤، (القاهرة/١٩٧٢م) .
١٢. قصص القرآن الكريم ، جار الله سليمان الخطيب ، د.مط ، (الرياض/١٣٩٣هـ) .
١٣. مقارنة الأديان ، أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣، (القاهرة/١٩٦٧م) .
١٤. منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق ، عبد الرحمن داود جميل ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى كلية أصول الدين ، جامعة النجاح ، (نابلس/٢٠١٠م) .